عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره

دراسة تحليلية لحديث "استغفار النبي صلى الله عليه وسلم"

The Prophet's Infallibility and the Reason for His Seeking Forgiveness: An Analytical Study of the Hadith "The Prophet's Seeking Forgiveness

سامح عبد الهادي[1]*

s.abdelhade@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/02/24 تاريخ القبول: 2026/05/05 تاريخ النشر:2026/05/31

ملخص: إن دوام استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته، مع إكثاره من ذلك، وإقسامه عليه؛ أمرٌ ملفتٌ، يدعو للبحث والتنقيب حول أسبابه، خاصة وقد عُلم أن النبي صلى الله عليه وسلم غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وقد خلص البحث إلى نتائج عديدة، منها: أن عصمة الأنبياء لا تشمل الصغائر التي لا تزري بمناصبهم، وأن من أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته أن يبين للناس عدم جواز الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وأن الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

الكلمات المفتاحية: التوبة، الاستغفار، أسباب، عصمة، الأنبياء.

Abstract: The Prophet’s constant seeking of forgiveness and repentance, along with his frequent repetition of this and his swearing to it, is a striking matter that calls for research and investigation into its causes, especially since it is known that the Prophet, may Allah bless him and grant him peace, was forgiven for his past and future sins.

The research has reached many conclusions, including: that the infallibility of the prophets does not include minor sins that do not detract from their positions, and that among the reasons for the Prophet’s seeking forgiveness and repentance, may Allah bless him and grant him peace, was to explain to people the impermissibility of using predestination as an excuse for sins, and that the prophets do not know of the unseen except what Allah has informed them of.

Keywords: repentance, forgiveness, reasons, infallibility, prophets.

مقدمة:

إن لاستغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته الكثيرة المتكررة، مع كونه معصوماً؛ أسباباً لا بد من دراستها، يقول الله عز وجل في عصمته: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: 113]، يقول ابن كثير: "امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال، وعصمته له، وما أنزل عليه من الكتاب، وهو القرآن، والحكمة، وهي السنة"[1]، وقال عز من قائل: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء: 73، 74]، وهذه الآية تدل على حفظ الله لنبيه، وتثبيته وعصمته وتأييده[2].

فإذا كان هذا حالُ النبي صلى الله عليه وسلم، كان لزاماً أن يُنظر في أسباب استغفاره صلى الله عليه وسلم وتوبته، وفي معنى العصمة الثابتة له، والتي أخبر الله عز وجل عنها.

أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة في كونها تتناول موضوع عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، وأسباب استغفاره وتوبته، والتي هي من أعمق القضايا التي تتعلق بمقام النبوة وكمالها.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي: ما المقصود بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم؟

ويندرج تحت هذا السؤال عدة أسئلة:

1- ما هو سبب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم؟

2- لماذا كان يكثر صلى الله عليه وسلم من الاستغفار والتوبة؟

أهداف الدراسة

تظهر أهداف الدراسة في الآتي:

[1] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ، (410/2).

[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (100/5).

1- بيان معنى العصمة في حق النبي صلى الله عليه وسلم.
2- بيان أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم.
3- بيان أهمية التوبة والاستغفار في حياة المسلم.

الدراسات السابقة

هناك بعض الدراسات التي كتبت عن العصمة، وعن التوبة والاستغفار، منها:

1- رسالة ماجستير بعنوان: الاستغفار في الكتاب والسنة، للباحث حاتم عودة، نشرتها جامعة النجاح الوطنية عام 2007م، وقام بالإشراف عليها الدكتور خالد علوان، وهي رسالة عنيت بتفسير الاستغفار والتوبة، وفضائلهما، وبواعثهما.

2- بحث بعنوان: إرشاد الأخلاء إلى عصمة الأنبياء، للباحثة أوصاف محمد عبده، نشرتها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر عام 2016م، وهو بحث عنيت صاحبته بالبحث في مفهوم العصمة، وبيان أقوال أهل العلم فيها، والرد على شبهات الطاعنين في العصمة النبوية، وبيان معنى النبوة والرسالة والفرق بينهما.

3- بحث بعنوان: آيات وأحاديث الاستغفار والدعاء دراسة تحليلية تربوية، للباحثتين: د. أسماء الشبول، ود. هيفاء الفوارس، نشرته مجلة كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة، عام 2021م، وقد عُني البحث بشرح الآيات والأحاديث التي ذكر فيها الاستغفار والدعاء، وبيان المضامين التربوية فيها، وقد تناول هذا البحث الكلام عن حديث التوبة والاستغفار، غير أنه لم يخرج عما كتبه العلماء في كتب شروح الحديث، وتناول بإسهابٍ جزئية مهمة حول حقيقة الاستغفار المقبول عند الله تعالى.

ويتميز هذا البحث عن غيره بما يلي:

1- تناول البحث تعريفاً عاماً بحديث استغفار النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان شيء من الفوائد التي تتعلق بإسناده.

2- ودراسة لموضوع العصمة النبوية، والعلاقة بينها وبين حديث الاستغفار.

3- كما تناول البحث الحديثَ عن أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم، والربط بينه وبين بعض مسائل الاعتقاد.

منهج الدراسة

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي، والاستنباطي، إذ قام بداية بدراسة الحديث سنداً ومتناً، ثم قام بتحليل المتن، وبيان علاقته بالعصمة، واستنباط ما أمكن من فوائده ومعانيه.

تم الاعتماد على الخطة التالية

المبحث الأول: تعريف عام بحديث استغفار النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: تعريف بإسناد الحديث

المطلب الثاني: تعريف بمتن الحديث

الفرع الأول: أغراض القسم

الفرع الثاني: الفرق بين الاستغفار والتوبة

الفرع الثالث: دلالة كثرة الاستغفار والتوبة في الحديث

المبحث الثاني: عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره

المطلب الأول: معنى عصمة النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني: أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته

المبحث الأول: تعريف عام بحديث استغفار النبي صلى الله عليه وسلم

يعرض المبحث الأول تعريف اسناد الحديث ثم متن الحديث عبر مطلبين.

المطلب الأول: تعريف بإسناد الحديث

يقصد بحديث الاستغفار في هذا البحث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**والله إني لأستغفر الله و أتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**"[1].

ولهذا الحديث طرق متعددة، أصحها طريق الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وقد أخرج البخاري الحديث من هذه الطريق، فقد رواه عن أبي اليمان، الحكم بن نافع

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، رقم 6307.

الهراني، وهو ثقة ثبت[1]، عن شـــعيب بن أبي حمزة، وهو ثقة عابد[2]، عن محمد بن مســـلم، ابن شـــهاب الزهري، وهو الإمام، الفقيه، الحافظ، المتفق على جلالته وإتقانه[3]، عن أبي سـلمة بن عبد الرحمن، وهو ثقة فقيه كثير الحديث[4]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أحفظ من روى الحديث في عصره[5]، عن النبي صلى الله عليه وسلم به.

والظاهر أن البخاري اختار رواية الحديث من طريق أبي اليمان عن شـــعيب لعدة أسباب:

أولها: أن شعيباً من أثبت الناس في الزهري[6]، وهو أثبت من روى هذا الحديث عنه، إذ اجتمع معه في روايته عن الزهري: معمر بن راشد[7]، وهو ثقة ثبت، في روايته عن بعض الرواة شيء[8]،

[1] انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العســـقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار الرشـــيد، ســـورية، ط1، 1406هـ، رقم 1464.

[2] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 2798.

[3] انظر: انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 6296.

[4] انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1426هـــ، (116/12).

[5] انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، (353/7).

[6] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 2798.

[7] كما في: أحمد، ابن محمد بن حنبل، الزهد، تحقيق محمد عبد الســـلام شـــاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـــ، رقم 7793، وعبد الرزاق، ابن همام بن نافع اليماني الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، تحقيق د.محمود عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـــ، رقم 2882.، والترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي وإبراهيم عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـــ، رقم 3259، وابن السني، أحمد بن محمد الدينوري، عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، تحقيق كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسـلامية ومؤسـسـة علوم القرآن، جدة – بيروت، رقم 367، والبيهقي، أحمد بن الحسـين، شـعب الإيمان، تحقيق د.عبد العلي حامد وإشـراف مختار الندوي، مكتبة الرشـد بالتعاون مع الدار السـلفية ببومباي بالهند، الرياض، ط1، 1423هـ. رقم 629.

[8] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 6809.

ويونس بن يزيد الأيلي[1]، وهو ثقة، في روايته عن الزهري وهم قليل[2]، وموسى بن عقبة[3]، وهو ثقة فقيه[4]، ومحمد بن عبد الله بن أبي عتيق[5]، وهو مقبول[6]، ومحمد بن الوليد الزبيدي[7]، وهو ثقة ثبت، من كبار أصحاب الزهري[8]، ويزيد بن عبد الله بن الهاد[9]، وهو ثقة مكثر[10].

وشـــعيب مقدَّم على كل هؤلاء لعدة أمور: فهو من أثبت الناس في الزهري كما قال ابن معين، وقد كان كاتباً له، ورفع أحمد من قدره، وذكر أن كتبه كانت مضـــبوطة مقيدة، وذكر بعضـــهم أنه كان من العبَّاد، واتفق الأئمة على توثيقه[11]، فلعل هذه الأمور هي التي جعلت البخاري يميل إلى إخراج الحديث من طريقه، والله أعلم.

[1] كما في: النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق حسن شلبي وإشراف شعيب الأرنؤوط وتقديم عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، رقم 10197، وابن حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ.، رقم 925.

[2] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 7919.

[3] كما في: الطحاوي، أحمد بن محمد، شـــرح معاني الآثار، تحقيق محمد النجار ومحمد جاد الحق ومراجعة د.يوســـف المرعشلي، عالم الكتب، ط1، 1414هـــ ، رقم 6951، والنسائي، السنن الكبرى، رقم 10198، والطبراني، سليمان بن أحمد، الدعاء للطبراني، تحقيق مصـطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـــ، رقم 1838، وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصـبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصـفياء، دار السـعادة، بجوار محافظة مصـر، 1394هـــ. (188/2).

[4] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 6992.

[5] كما في: الطحاوي، شـــرح معاني الآثار، رقم 6951، والنســـائي، الســـنن الكبرى، رقم 10198، والطبراني، الدعاء للطبراني، رقم 1838، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (188/2).

[6] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 6047.

[7] كما في: النسائي، السنن الكبرى، رقم 10200.

[8] انظر: ابن حجر، تقريب التهيب، رقم 6372.

[9] كما في: أحمد، المســند، رقم 8493، والطبراني، ســليمان بن أحمد، المعجم الأوســط، تحقيق طارق بن عوض، دار الحرمين، القاهرة، رقم 8770، والهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، بغية الباحث عن زوائد مسـند الحارث، تحقيق د. حسين الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط1، 1413هـ، رقم 1079، وأبو نعيم، حلية الأولياء، (325/7).

[10] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 7737.

[11] انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، رقم 2798.

ثانياً: أخرج البخاري الحديث من رواية شيخه أبي اليمان عن شعيب؛ ليبين أن روايته عنه ليس فيها مطعن، وأنها صحيحة كيفما أخذها ورواها عن شعيب، وقد اختلف في كيفية أخذه الحديثَ عن شعيب، فقال بعضهم أنه روى عنه مناولة، ونقل ابن معين عن أبي اليمان أنه لم يرو حديثاً مما أخذه عن شعيب مناولة، وبالغ أبو زرعة فزعم أن أحاديث أبي اليمان عن شعيب كلها إجازة إلا حديثاً واحداً، وقيل غير ذلك[1].

وسواء كان هذا الحديث مناولة، أو إجازة، أو سماعاً، أو غير ذلك، فأبو اليمان ثقة لم ينقل عنه تدليس أو كذب، وقد اتفق الأئمة الكبار على تعديله[2].

ولقد قام شعيب قبل وفاته بتصحيح كتبه وأخرجها للناس[3]، وشهد أحمد بن حنبل لكتب شعيب بأنها مضبوطة مقيدة[4]، فمن رواها عنه من الرواة الثقات مناولة أو إجازة فإنه لا يضره ذلك، وقد ذكر الذهبي أن أصحاب الصحيحين أكثروا من الرواية عن أبي اليمان مع احمالية أن يكون أكثر ما رووه عنه إجازة[5]، وهذا يدل على أن أحاديثه عن شعيب صحيحة ليس فيها مطعن كيفما رويت.

ثالثاً: ولعل من مقاصد البخاري في إخراجه لحديث أبي اليمان عن شعيب؛ أن يبين قبوله لقول أبي اليمان عن أحاديثه التي رواها عن شعيب مناولة وإجازة: (أخبرنا)، وأن قوله ذلك عن المناولة والإجازة لا يضر، فقد كان أبو اليمان يتأول صحة إطلاق لفظ (أخبرنا) على كل

[1] انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، رقم 769، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف محب الدين الخطيب وتعليق عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، (399/1).

[2] انظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ، (149/7-155)، والذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1382هـ، (581/1)، وابن حجر، فتح الباري، (399/1).

[3] انظر: المزي، تهذيب الكمال، (150/7).

[4] انظر: المزي، تهذيب الكمال، (517/12).

[5] انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، (582/1).

ما أخذه عن شعيب، وقد ثبت للبخاري اجتماع أبي اليمان بشعيب وسماعه منه، وصرح بذلك في تاريخه[1].

رابعاً: ولعل البخاري أخرج حديث أبي اليمان عن شعيب؛ لأن أبا اليمان من أعلم الناس بحديث شعيب، وقد صرح الذهبي بذلك في ميزانه فقال: "وهو ثبت في شعيب، عالم به"[2].

خامساً: اختار البخاري طريق الزهري عن أبي سلمة؛ لأنها أثبت الطرق، وأقواها، وأعمّها لفظاً، وقد رواها عن الزهري عدد غير قليل من الثقات.

المطلب الثاني: تعريف بمتن الحديث

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، ولعل مقصود الإمام البخاري من إيراده للحديث تحت هذا الباب أن يبين وقوع الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم، أو مقداره وكميته[3].

والحديث تطبيق عملي للآيات التي أمر الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار، كقوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 106]، وقوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: 19]، ونحوها من الآيات.

وعند النظر في الحديث، فإنه يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، إذ ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم فيه بالقسم، وحلف فيه على قيامه بالاستغفار والتوبة، وصرح بإكثاره من ذلك والدوام عليه، لذلك فإن التعريف بالمتن سيكون في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أغراض القسم

[1] انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، (344/2)، رقم 2691.

[2] الذهبي، ميزان الاعتدال، (582/1).

[3] انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف محب الدين الخطيب وتعليق عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، (101/11)، والعيني، محمود بن أحمد الغيتابي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (279/22)، والقسطلاني، إرشاد الساري، (179/9).

ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بالقسم، توكيداً لكلامه[1]، وتعظيماً وتفخيماً له[2]، وليلفت عناية السامع، ويشدَّ انتباهه لأهمية ما يقال، وليكون الداعي إلى استماع ما أقسم عليه أقوى[3]، وتأثيره في النفس أبلغ[4].

الفرع الثاني: الفرق بين الاستغفار والتوبة

أقسم صلى الله عليه وسلم في حديثه على قيامه بالاستغفار والتوبة، وقرن بينهما في كلامه، ليدل ذلك على وجود فرق بينهما، فعطف الشيء على الشيء في الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه[5]، ومع هذا فقد فسَّر بعض أهل العلم الاستغفار بالتوبة، والتوبة بالاستغفار[6]، وحتى يظهر وجه الشبه والاختلاف بين التوبة والاستغفار؛ فإنه لا بد من النظر في كلٍّ منهما.

فأما التوبة لغة فهي: الرجوع عن المعصية إلى الطاعة[7]، وشرعاً تعرف بأنها: "الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب، والعزم على تركها دائماً لله عز وجل، لا لأجل نفع الدنيا أو أذى، وأن لا تكون عن إكراه أو إلجاء، بل اختياراً حال التكليف"[8]، وعرّف الجرجاني التوبة بأنها: " الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب"[9]، وذكر

[1] انظر: سيبويه، عمر بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ، (104/3)، وابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، تقديم د.إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، (244/5).

[2] انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، (248/5)، وبدر الدين، أ.د أميمة، بلاغة القسم في الحديث النبوي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الثالث والرابع، 2010م، ص58.

[3] السامرائي، د.فاضل صالح، معاني النحو، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط2، 1441هـ، (185/4)

[4] انظر: الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، (173/31).

[5] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، 1416هـ، (172/7).

[6] انظر: البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق محمد النمر وآخرين، دار طيبة، ط4، 1417هـ، (156/4).

[7] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (223/1)، والفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، ط2، 1426هـ، ص62.

[8] ابن مفلح، محمد بن مفلح الراميني، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، (84/1).

[9] الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تصحيح جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ، ص70.

أن "التوبة تأتي على ثلاثة معانٍ: أولها الندم، والثاني: العزم على ترك العود إلى ما نهى الله تعالى عنه، والثالث: السعي في أداء المظالم"[1]، وعرف الأصفهاني التوبة بأنها: " ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة"[2].

والتوبة النصوح عند الجرجاني هي: "توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله"[3]، وهو معنى تعريف عمر، وأبيّ، ومعاذ، وأضاف إليها الحسن البصري الندم[4]، وقال الكلبي: " أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن"[5].

ومن خلال النظر في التعريفات السابقة، يتضح أن التوبة تتحقق بأمور، هي: الندم، والإقلاع، والعزيمة على عدم العودة إلى المعصية، وردِّ الحقوق إلى أهلها، كما يلاحظ من تعريفات القوم أن التوبة عندهم هي التوبة النصوح، فالتعريف واحد، اللهم إلا إن عرِّفت التوبة النصوح بأنها: التوبة التي تنصح صاحبها بعدم العودة مرة أخرى، أو التوبة التي ينصح بها المرء نفسه[6].

ولا يشترط التلفظ بالتوبة عند أكثر أهل العلم، إذ لم يدخلوه في حدِّها، ولم يعدوا التلفظ من شروطها[7].

[1] الجرجاني، التعريفات، ص70.

[2] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق – بيروت، ط1، 1412هـ، ص169.

[3] الجرجاني، التعريفات، ص70.

[4] انظر: البغوي، معالم التنزيل، (169/8).

[5] انظر: البغوي، معالم التنزيل، (169/8).

[6] انظر: البغوي، معالم التنزيل، (169/8).

[7] انظر التعريفات السابقة، وانظر: النووي، يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1419هـ، ص33-34، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ، (199/1-200)، وابن مفلح، الآداب الشرعية، (84/1).

وأما المغفرة لغة فهي: التغطية، والستر، والعفو، ومغفرة الذنب: التغطية عليه، والعفو عنه[1]، والاستغفار: طلب المغفرة[2].

والمغفرة شرعاً هي: "إلباس الله تعالى العفو للمذنبين"[3]، وعرِّفت بأنها: " صون اللهِ العبدَ من أن يمسّه العذاب"[4]، والتعريفان بمعنى واحد.

وعُرِّفت أيضاً بأنها: "محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره"[5]، وهذا التعريف يكمل المعنى السابق، فلا تعارض إذن.

والاستغفار هو: " استقلال الصالحات والإقبال عليها، واستكثار الفاسدات والإعراض عنها"[6]، ويفهم من هذا التعريف أن الاستغفار يتضمن الندم، والإعراض عن الذنب، والإقبال على العمل الصالح، ونحو هذا التعريف ما جاء عن بعضهم أنه: " طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية، والإعراض عنها"[7].

والاستغفار بهذا المعنى لا يختلف عن التوبة إلا بالقول، فالاستغفار يتضمن طلب المغفرة من الله، والتوبة لا يشترط فيها ذلك، إذ هي عمل قلبي، وردٌّ للحقوق[8]، والاستغفار على هذا يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار[9]، ولذلك نبَّه بعض أهل العلم على أن الاستغفار بالقول فقط هو فعل الكذابين، أي أنه ليس بتوبة[10].

[1] ابن منظور، لسان العرب، (25/5)، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص451.

[2] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (26/5)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص451.

[3] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، (373/3).

[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص609. بتصرف يسير.

[5] ابن القيم، مدارج السالكين، (314/1).

[6] الجرجاني، التعريفات، ص18.

[7] الجرجاني، التعريفات، ص18.

[8] انظر: النووي، رياض الصالحين، ص33–34، وابن القيم، مدارج السالكين، (314/1)، وابن مفلح، الآداب الشرعية، (84/1).

[9] انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (315/1).

[10] انظر: ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، تحقيق د.محمد الأحمدي، د. ماهر الفحل، دار السلام، ط2، 1424هـ، (1167/3).

وأما الاستغفار بمعنى طلب المغفرة، فهو دعاء وسؤال[1]، ومجرَّدُ الاستغفار باللسان، من غير إقلاع بالقلب، كأن يقول القائل: (اللهمَّ اغفر لي)، ليس إلا طلباً منه للمغفرة ودعاءٌ بها، وهو أمر حسن، ويرجى لصاحبه الإجابة، إذ حكمه حكمُ سائرِ الدعاء، إنْ شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لاسيما إذا خرج عن قلبٍ منكسرٍ بالذنب، أو صادف ساعةً من ساعات الإجابة، كالأسحار، وأدبار الصلوات، وإن شاء لم يجِب الدعاء، فالاستغفار بدون التوبة لا يستلزم المغفرة، ولكن هو سبب من الأسباب[2].

والاستغفار بالمعنى الأول يدخل في مسمى التوبة عند الإطلاق، وكذلك التوبة تدخل في مسمى الاستغفار، وأما عند اقتران اللفظين معاً فإن الاستغفار يكون طلباً لمغفرة ما مضى من الذنب، بوقاية شره، ومحو أثره، والتوبة تكون بمعنى الرجوع، وطلب وقاية شرِّ ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، وعزمٌ على أن لا يفعل الذنب مرة أخرى[3].

ومن الفروق التي ذكرت أيضاً عند اجتماع اللفظين[4]:

1- أن الاستغفار خُصَّ بالمفارقة للباطل، أما التوبة فخصَّت بالرجوع إلى طريق الحق، قال ابن القيم: "ولهذا جاء - والله أعلم - الأمر بهما مرتباً بقوله: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود: 3] فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل"[5].

2- أن الاستغفار من باب إزالة الضرر، وأما التوبة فهي طلب لجلب المنفعة، فالمغفرة طلب للوقاية من شر الذنب الذي حصل، والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم.

الفرع الثالث: دلالة كثرة الاستغفار والتوبة في الحديث

[1] انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1406هـ، (210/6).

[2] انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، (212/6)، وابن رجب، جامع العلوم والحكم، (1164/3-1168).

[3] انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (315/1).

[4] انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (315/1).

[5] ابن القيم، مدارج السالكين، (315/1).

إن كثرة الاستغفار والتوبة أمر يسترعي النظر والتأمل، ومعرفة دلالات هذا الفعل المتكرر منه صلى الله عليه وسلم، خاصة وقد عُلمت عصمته بالضرورة، ويمكن القول بأن من أهم هذه الدلالات:

أولاً: دوام حاجة العبد إلى رحمة الله وقربه

صرَّح النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه بكثرة إحداثه للتوبة والاستغفار، ليدلَّ ذلك على دوام حاجة العبد لعفو الله عز وجل، وتجدد هذه الحاجة باستمرار، إذ قد علم من حال بني آدم كثرة وقوعهم في الخطأ، ولو لم يكن هناك سبيل للرجوع إلى الله والفوز بجنته؛ ليئس الناس وقنطوا، وسلك الكثير منهم سبيل المعاصي والشهوات، والجرائم، إذ لا فرصة لنيل الرغبات إلا في هذه الدنيا.

ولقد كان من رحمة الله بعباده أن جعل لهم سبيلاً للرجوع إليه، وأماناً من وقوع عقابه، ووقاية من عذابه، قال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]، قال ابن عباس: "كان فيهم أمانان: نبيّ الله، والاستغفار" قال: "فذهب النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي الاستغفار"[1]، وإذا كان العبد كثير الخطأ، فإن عليه أن يكون في المقابل كثير التوبة والاستغفار، فهو بحاجة إلى تجديد العهد باستمرار على الدوام، يقول عليه الصلاة والسلام: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"[2]، والله يحب الرجَّاعين إليه بالتوبة، يقول عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222]، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير التوبة والاستغفار، فإن على العبد أن يكون كذلك من باب أولى.

وكما أن العبد بحاجة إلى عفو الله ومغفرته، فإنه بحاجة إلى رحمة الله عز وجل، فكان من رحمة الله أن جعل الاستغفار سبيلاً لنيل الرحمات، وتنزل البركات، يقول الله عز وجل: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: 10، 11، 12]، وقد علم من حال العباد تجدد حاجتهم لهذه الرحمات إذ لا غنى لهم عنها طرفة عين، فكان الإكثار من الاستغفار سبيلاً لدوام تجدد هذه الرحمات، وهذا من فضل الله ورحمته بالعباد.

[1] انظر: الطبري، جامع البيان، (512/13)، وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (1692/5)، رقم 9025.

[2] الترمذي، سننه، رقم 2499، وابن ماجه، سننه، رقم 4251. والحديث حسنه الألباني.

ثانياً: التحذير المبطن من الغفلة والجرأة على المعصية

في كثرة استغفاره صلى الله عليه وسلم، وتجديده للتوبة باستمرار؛ إشارة إلى ضرورة بقاء العبد في حالة تيقظ، ومراقبة مستمرة لأقواله وأفعاله وخطراته، فالعبد معرَّض للفتنة، وليس معصوماً من الوقوع في المعاصي، والشيطان يترصَّد له باستمرار، فإن لم يكن العبد منتبهاً على الدوام؛ فإن وقوعه في الغفلة سيكون سهلاً، ولن يكون استيقاظه سريعاً.

والغفلة من أشدِّ ما يفسد القلب، إذ تحجبه عن ذكر الله عز وجل، وتبعده عن طريق الهدى، وتؤدي بالعبد إلى الضلال واتباع الهوى، والعبد قد تقع منه لحظات يغفل فيها، وقد يمسُّه طائف من الشيطان، فهو ليس معصوماً كالأنبياء، غير أن عليه أن ينهض سريعاً، ولا يتمادى في غفلته، يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: 201]، يخبر الله عز وجل في الآية أن عباد الله المتقين إن همُّوا بذنب أو أصابوه؛ تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا، وأنابوا، واستعاذوا بالله، ورجعوا إليه من قريب، واستقاموا وصحوا مما كانوا فيه[1]، يقول ابن القيم: "لابد من سِنَةِ الغفلة، ورقاد الهوى، ولكن كُن خَفِيف النّوم"[2].

ثالثاً: إظهار العبودية والتطهير المستمر للنفس

في الحديث إشارة إلى اتخاذه صلى الله عليه وسلم من التوبة والاستغفار عبادة، ووسيلة للقرب وإظهار العبودية[3]، إذ فيها تتجلَّى معاني الذُّل والخضوع، والاعتراف والرجوع إلى الله عز وجل[4]، وقد جعل الله تعالى من التوبة طريقاً للفلاح فقال: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: 31]، وذكر أنه يحب التوابين فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة: 222]، وأمر بها عباده في عدد من الآيات الكريمة، وفي إخباره صلى الله عليه وسلم عن حاله مع التوبة والاستغفار، مع كونه مغفوراً له ما تقدم من

[1] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (534/3).
[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1393هـ، ص41.
[3] انظر: العيني، عمدة القاري، (279/22)، والقسطلاني، إرشاد الساري، (179/9).
[4] انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (200/1-201).

ذنبه وما تأخر؛ إشـارة منه إلى إرادة أن يتخذ المسـلمون من ذلك عبادة، ووسـيلة للتطهير المستمر للنفس[1].

المبحث الثاني: عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره

ورد في الحديث الشـريف أن النبي صـلى الله عليه وسـلم كان يسـتغفر من الله عز وجل ويتوب إليه، ومرَّ في المبحث السـابق أن الاسـتغفار يكون بسـبب ذنوب مضـت، وأن التوبة فيها العزم على عدم الرجوع إلى الذنب الذي فعله العبد بعد الإقلاع عنه، والندم عليه، فكيف يفسَّر الحديث مع ثبوت العصمة للنبي صلى الله عليه وسلم؟ وما هي الأسباب التي دعته للاسـتغفار والتوبة مع كونه معصـوماً؟ وللإجابة عن هذه التسـاؤلات؛ فإن هذا المبحث سيقسم إلى مطلبين اثنين:

المطلب الأول: معنى عصمة النبي صلى الله عليه وسلم

اتفق العلماء على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة، ومن كبائر الذنوب، ومن تعمد الكذب في الأحكام، وأنهم معصـومون أيضـاً من رذائل الأخلاق والدناءات، ومن كل ما يوجب خسَّةً أو إسقاط مروءة عمداً[2].

واختلفوا في الصـغائر التي لا تزري بمنصـب الأنبياء، وليسـت من الدناءات، فمنهم من قـال بعـدم وقوعهـا منهم، ونسـب ذلك إلى الأكثر، ومنهم من قـال بجواز وقوعهـا منهم، ونسب ذلك إلى الأكثر أيضاً[3].

ومن أبرز أدلة المانعين من وقوع هذا النوع من الصـغائر من الأنبياء، قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب: 7]، فهذه الآية تدل على أن الله عز وجل أخذ من النبيين العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسـالته، والتعاون والتناصـر، وفي هذا دليل على تطهيرهم

[1] انظر: القسطلاني، إرشاد الساري، (179/9).

[2] انظر: أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصـول الفقه، تحقيق صـلاح عويضـة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، (181/1)، وابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحي، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ، (169/2-173)، والشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أحمد عناية، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ، (98/1-99).

[3] انظر: ابن النجار، شرح الكوكب المنير، (173/2-174)، والشوكاني، إرشاد الفحول، (99/1-100).

وهم في ظهر آدم عليه السلام، إذ أخذ عليهم الميثاق وهم في ظهره، فيبعد أن يقع منهم شرك أو معصية والحال هذا بعد خلقهم[1].

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران: 81]، والآية تدل كسابقتها على تطهير الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الميثاق، ويبعُد أن يأخذ الله منه الميثاق قبل خلقه، ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به، ونصره قبل مولده بدهور، ثم يجوّز عليه الشرك أو غيره من الذنوب[2].

ومن الأدلة التي استدلوا بها ما رواه أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: "هذا حظ الشيطان منك"، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه"[3]، وهذا الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ معصوماً من الشيطان، فقد أزيلت من قلبه العلقة القابلة للوساوس، والمحركة للشهوات[4].

وحديث مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به: " بينما أنا في الحطيم، - وربما قال: في الحجر - مضطجعاً إذ أتاني آت، فقد: قال: وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه - فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته - فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب، مملوءة إيماناً، فغسل قلبي، ثم حشي ثم أعيد"[5]، وفي رواية مسلم:

[1] انظر: عياض، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، 1409هـ، (110/2)، والطبري، جامع البيان، (213/20)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (382/6).
[2] انظر: عياض، الشفا، (110/2).
[3] مسلم، صحيحه، رقم 162.
[4] انظر: القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محي الدين ميستو وآخرين، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1417هـ، (382/1)، وابن حجر، فتح الباري، (205/7).
[5] البخاري، صحيحه، رقم 3887، ومسلم، صحيحه، رقم 164.

"ثم حشي إيماناً وحكمة"[1]، وهذا الحديث يدل على امتلاء قلب النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان والحكمة، فيبعد عنه والحال هذا أن تقع منه معصية أو ذنب[2].

والذي يذهب إليه الباحث هو القول بجواز وقوعها منهم، للأدلة الدالة على ذلك، والتي منها قوله تعالى: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه: 121، 122]، قال الطبري: "اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه"[3].

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [القصص: 16]، وفي الآية أن موسى عليه السلام استغفر ربه على ما كان منه في أمر القبطي الذي وكزه فقتله، فغفر الله له ذلك، وعفا عنه[4].

وقال تعالى: {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: 24، 25]، وقد اختلف أهل العلم في الذنب الذي وقع من داود عليه السلام، مع اتفاقهم على وقوعه فيه، وتوبة الله عز وجل عليه منه، قال ابن كثير: "{فغفرنا له ذلك} أي: ما كان منه مما يقال فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين"[5].

وقد عاتب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم في عدد من الآيات على أمور مختلفة، منها: عتابه عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الأمر الذي حرمه على نفسه، وكان الله قد أحلَّه له بقوله: "{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [التحريم: 1] [6]، ومنها قوله سبحانه في عتابه لنبيه صلى الله عليه وسلم بسبب إعراضه عن ابن أم مكتوم: {عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}

[1] مسلم، صحيحه، رقم 164.

[2] انظر: عياض، الشفا، (110/2-111).

[3] هكذا من المصدر، انظره في: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ، (388/18)، وانظر: البغوي، معالم التنزيل، (299/5).

[4] انظر: الطبري، جامع البيان، (541/19)، وابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل = تفسير ابن جزي، تحقيق د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ، (110/2).

[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (60/7)، وانظر: البغوي، معالم التنزيل، (81/7)

[6] انظر: الطبري، جامع البيان، (475/23-480)، والبغوي، معالم التنزيل، (159/8-163)، وانظر: البخاري، صحيحه، رقم 5267، ورقم 6691، ومسلم، صحيحه، رقم 1474.

[عبس: 1 - 3][1]، ومنها قوله سبحانه في أسرى بدر: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: 67، 68][2].

إن هذه الأدلة وغيرها تدل على وقوع الأنبياء في شيء من صغائر الذنوب، لذلك قال أبو المعالي: "والذي ذهب إليه المحصلون أنه ليس في الشرع قاطع في ذلك نفياً وإثباتاً، والظواهر مشعرة بوقوعها منهم"[3]، وذكر ابن تيمية أن وقوع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في شيء صغائر الذنوب هو قول السلف قاطبة من القرون الثلاثة، وأهل الحديث والتفسير، وأهل كتب قصص الأنبياء والمبتدأ، وجمهور الفقهاء والصوفية؛ وكثير من أهل الكلام كجمهور الأشعرية وغيرهم، وعموم المؤمنين[4]، والأنبياء إذا حصل منهم شيء من ذلك؛ فإنهم لا يقرُّون عليه، ويأتيهم في ذلك وحي يعاتبهم، أو يصحح لهم ما وقعوا فيه.

وأما أدلة المانعين من وقوع شيء من الصغائر من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، فإنه يمكن مناقشتها والإجابة عنها، فأخذ الميثاق قبل خلق الأنبياء يدلُّ على تطهيرهم وعصمتهم واصطفائهم، ولكنه لا يدل على عدم وقوعهم في شيء من الصغائر التي تدلُّ على بشريتهم، والتي لا يسلم منها إنسان، وقد حدَّثنا الله عز وجل عن طائفة غير قليلة منها، ورد ذكر بعضها قريباً، وذكر هذه الصغائر مع ذكر تطهيرهم قبل خلقهم، يدلُّ على أن التطهير لا يتناول مثل هذه الأمور.

وأما استدلالهم بأحاديث شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنه يجاب عنها بأن ما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم كان لبشريته، إذ لا يسلم إنسان من هذه الأمور، وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كان نابعاً من اجتهاد بشري، أو ترك للأولى

[1] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (319/8)، وانظر: الترمذي، سننه، رقم 3331، وقال: حديث غريب، وصححه الألباني.

[2] انظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط3، 1419هـ، (1734/5)، وانظر القصة في: مسلم، صحيحه، رقم 1763.

[3] أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، (182/1).

[4] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (89/20).

والأفضل، أو سهو ونسيان، وليس للشيطان فيها يد، إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه كما بينت الأحاديث، والأمور التي وقعت منه صلى الله عليه وسلم، لم يُقرَّ عليها، بل جاء القرآن بعتابه فيها، وتصحيحها، وقد تكون الهفوة أو السهوة أو الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم سبباً في بيان حكم، أو تخفيف على الأمة، كالذي حصل يوم بدر، والذي حصل عند سهوه في الصلاة[1]، والنبي له خصوصية، إذ هو سيد ولد آدم[2]، عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ومع القول بجواز وقوع الأنبياء بشيء من الصغائر، فإن ما عُدَّ عليهم منها قليل، ومع هذا فقد كانوا يحدثون لها توبة واستغفاراً، ويخافون عاقبتها كما ورد في حديث الشفاعة الطويل[3]، فإذا كان هذا حال صفوة الخلق، من الأنبياء والمرسلين، وكان الاستغفار وإحداث التوبة سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن على سائر البشر أن يجتهدوا في هذا الباب اجتهاداً عظيماً من باب أولى، فهم يخطئون بالليل والنهار، ولا يعلم أحد أكتب من أهل السعادة أم كتب من أهل النار،{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: 21].

المطلب الثاني: أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته

إن لاستغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته أسباباً تختلف عن سائر البشر، إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم رسولٌ، معصومٌ، مؤيدٌ بالوحي، وقد ذكر أهل العلم جملة من الأسباب التي قد تدعو النبي صلى الله عليه وسلم للتوبة والاستغفار، منها[4]:

1- ما ورد في حديث الأغر المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة"[5]، والغين: الغيم، والشجر الملتف، والغين على القلب تغطيته[6]، وقد اختلف أهل العلم بالمراد من الحديث على أقوال: فمنهم من قال: إن

[1] البخاري، صحيحه، رقم 482، ومسلم، صحيحه، رقم 573.
[2] البخاري، صحيحه، رقم 3340، ومسلم، صحيحه، رقم 2278، واللفظ له.
[3] البخاري، صحيحه، رقم 7510، ومسلم، صحيحه، رقم 193.
[4] انظر النقاط الستة جميعها في: ابن حجر، فتح الباري، (11/101-102).
[5] مسلم، صحيحه، رقم 2702.
[6] انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (3/759)، وابن منظور، لسان العرب، (13/316).

المقصود بالغين الفتور والغفلة التي قد تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم عن الذِّكر لأمر ما، فكان يعدُّها ذنباً يستغفر منه؛ لأن قلبه صلى الله عليه وسلم كان دائم الاشتغال بالله تعالى، وقيل: إنه شيء من نحو اختلاط أو اضطراب يعتري القلب، مما يقع من حديث النفس، وهذان القولان متداخلان متقاربان، محتملان، والله أعلم.

وقيل: إنها سكينة تغشى القلب، أو حالة من الخشية والإعظام، ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم إظهاراً للعبودية، وشكراً لله عليها، وعلى ما أولاه، وقيل: إنها كمال أو تتمة كمال في حق النبي صلى الله عليه وسلم، إذ فيها صيانة ووقاية لبصيرته من أنفاس الأغيار، التي يقصد بها: كل ما يغير القلب ويشغله عن حضرة الرب سبحانه[1]، وهذان القولان متداخلان أيضاً، ومحتملان؛ لدخولهما في معنى الغين، الذي هو الغشية التي تغشى القلب، لكن بدلاً من جعل الغشية من نحو غفلة واضطراب، جعلوها غشية سكينة وتعظيم ووقاية.

ولا يرى الباحث الترجيح بين هذه الأقوال، فكلها محتملة، وقد وقع من النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على جريان الأعراض البشرية عليه صلى الله عليه وسلم، من نوم عن الصلاة[2]، وسهو[3]، وخطأ[4]، فلا يستبعد تفسير الغين في هذا الحديث بنوع اضطراب وغفلة عن الذِّكر لعارض وانشغال، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له أحوال ليست لغيره، فقد كانت تنام عينه ولا ينام قلبه[5]، فلا يستبعد أن يكون الغين بمعنى غشية سكينة وتعظيم ووقاية، والله أعلم.

[1] انظر: ابن عجيبة، أحمد بن محمد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم ومراجعة محمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، ص97.

[2] انظر: مسلم، صحيحه، رقم 680، من حديث أبي هريرة.

[3] البخاري، صحيحه، رقم 741، ورقم 1228، ومسلم، صحيحه، رقم 573، من حديث أبي هريرة.

[4] مسلم، صحيحه، رقم 1763 من حديث عمر بن الخطاب.

[5] البخاري، صحيحه، رقم 1147، ورقم 2013، ومسلم، صحيحه، رقم 738.

2- ومنها أن الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة؛ وقد يرون أن انشغالهم بالأمور المباحة من أكل، وشراب، وجماع، ومخاطبة للناس، ونظر في مصالحهم، ونحو ذلك، قد يرون ذلك من التقصير الداعي إلى الاستغفار، إذ حجبهم عن الاشتغال بذكر الله ومراقبته عز وجل.

3- ومنها أن استغفاره تشريع لأمته، أو أنه من ذنوب الأمة، فهو كالشفاعة لهم.

4- وقال بعضهم: "لما كان روح النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل في الترقي إلى مقامات القرب يستتبع القلب والقلب يستتبع النفس ولا ريب أن حركة الروح والقلب أسرع من نهضة النفس فكانت خطا النفس تقصر عن مداهما في العروج فاقتضت الحكمة إبطاء حركة القلب لئلا تنقطع علاقة النفس عنه فيبقى العباد محرومين، فكان صلى الله عليه وسلم يفزع إلى الاستغفار لقصور النفس عن شأو ترقي القلب، والله اعلم"[1].

5- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي؛ لتزايد علومه ومعرفته بالله عز وجل، فإذا ارتقى إلى حال، رأى ما قبلها دونها في المنزلة، فاستغفر من الحالة السابقة[2].

6- ومنها أن استغفاره صلى الله عليه وسلم إنما هو من الهفوات وصغائر الذنوب التي لا تزري بمنصبه المشرَّف، والتي لا يسلم منها إنسان، وهذا مبني على القول بعصمة الأنبياء من الكبائر دون الصغائر، وقد مرَّ بيانها.

7- ومنها أن استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته إلى الله عز وجل كان بسبب تواضعه[3]، وعدم اتكاله على مكانته ومنزلته عند الله عز وجل، فقد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [الفتح: 2]، قال ابن عطية: "عظم الله أمر نبيه بأن نبأه أنه غفر له ما تَقَدَّمَ من ذنبه وَما تَأَخَّرَ"[4]، ومع هذا فقد كان صلى الله عليه وسلم كثير الاستغفار والتوبة، كثير العبادة والصلاة، متزوداً للآخرة، متبرئاً من العُجب بحاله ومنزلته، شاكراً لله عز وجل

[1] ابن حجر، فتح الباري، (102/11).

[2] انظر: الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (10/4)، وابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، (211/1-212).

[3] انظر: العيني، عدة القاري، (279/22).

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، (126/5).

على ما أولاه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً"[1].

8- مما اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم الخلق: أن يقوم بالفعل، أو يتكلم بالكلام، ليكون به قدوة للناس[2]، لذلك فإن من أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته أن يرشد الناس إلى أهمية ذلك، من خلال قيامه بهذا الفعل، وقد أخبر عن نفسه بأنه يكثر من الاستغفار وإحداث التوبة كل يوم، حالفاً بالله على ذلك؛ ليقتدي به الناس، فيكثروا من التوبة والاستغفار، ولا يتكلوا على أعمالهم، ويغتروا بها، وقد علم من حال البشر كثرة الخطأ، والوقوع في المعاصي، وسرعة تقلب قلوبهم، فهم في أمس الحاجة لما يؤمِّنُهم، ويمحو ذنوبهم، ويجدد عهدهم بالله عز وجل، فكان فعله صلى الله عليه وسلم من باب التعليم لهم بالقدوة، والله عز وجل يقول: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21].

9- ومن أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته: تعزيز اليقين بأركان الإيمان، إذ إن هناك تلازماً ظاهراً بين هذه الأذكار وبين إيمان من ينطق بها، فالاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل تدلان على إيمان العبد الراسخ بوجود الله تعالى، وبعظمته وقدرته على الخلق، كما تدلُّ على إيمان العبد بسعة رحمة الله بهم، فقد سهَّل لهم طريق الرجوع إليه.

وفي الاستغفار والتوبة دليل على الإيمان باليوم الآخر، إذ يحدثه العبد لينجو به من غضب الله وعذابه، وينجو به من أهوال يوم القيامة، وما يسبق ذلك من عذاب القبر وفتنته.

10- ومن أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته: أن يبين للناس أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله عز وجل، فلو كان العبد يعلم شيئاً من الغيب ما وقع في المحذور، والأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، يقول الله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى

[1] مسلم، صحيحه، رقم 2820، من حديث عائشة، وورد من حديث المغيرة بن شعبة عند: البخاري، صحيحه، رقم 1130، ومسلم، صحيحه، رقم 2819.

[2] انظر: العيني، عدة القاري، (279/22).

غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} [الجن: 26، 27]، ولو كانوا يعلمون الغيب لاختلفت اختياراتهم، يقول الله عز وجل: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 188].

11- ومن أسباب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته: أن يبين عدم جواز الاحتجاج على المعصية بالقدر[1]، وأن على العبد إذا وقع في معصية أن يفزع للاستغفار، إذ فيه اعتراف بالذنب، واتهام للنفس، وخضوع للرب سبحانه، وهذا طريق الأنبياء، والأولياء الأصفياء، يقول الله تعالى على لسان آدم وحواء عليهما السلام: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: 23]، وقال سبحانه: {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص: 24]، وقال: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87]، وقال سبحانه عن أوليائه: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: 147].

ومع أن المعصية داخلة في جملة ما قدَّر الله على العباد، فإنه لا يجوز لأحد أن يحتج بالقدر على المعصية، فالعبد لا يعلم ما قدِّر عليه منها في المستقبل، ولم يجبر الله عز وجل أحداً على فعل أو ترك، وقد أثبت سبحانه للعبد مشيئة وقدرة كما أثبت لنفسه، فقال: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } [آل عمران: 97]، وقال: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [التكوير: 28، 29]، والعبد محاسب على ما يختاره من الأعمال، وقد رتَّب الله الثواب والعقاب عليها فقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: 7، 8]، ولو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي مقبولاً لقبل من إبليس وغيره من العصاة[2]، وهذا مصادم لما ورد بصريح النص في القرآن؛ من ترتُّب الثواب والعقاب على الأعمال، ولا يعلم أحد ما كتب الله عليه، فكيف يدَّعي أن الله كتب عليه المعصية، قال تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ

[1] انظر عدم جواز الاحتجاج بالقدر على المعصية في: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (8/263-264)،

[2] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (8/267-268).

فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } [الأنعام: 148]، فعلى العبد إن وقع في معصية أن يدين نفسه، ويعترف بذنبه، وأن يفزع للتوبة والاستغفار، ولا بأس عندها أن يحتج بالقدر على ما وقع منه من معصية، فهو لم يحتج بالقدر ليعارض به الشرع، ويصوِّب ما هو عليه، ويدافع به الأمر والنهي، وإنما هو اعتراف منه على وجه التوحيد، والبراءة من الحول والقوة، بعد الاستغفار، والتوبة التامة مما وقع فيه[1]، وقد يقع الاحتجاج بالقدر على وجه الاعتذار، وطلب العفو والمغفرة، كما وقع من موسى عليه السلام، يقول الله عز شأنه: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} [الأعراف: 155][2].

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات

1- للحديث عدة طرق، أقواها طريق الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة.

2- دقة البخاري في إخراجه لهذا الحديث، إذ اختار روايته من طريق الزهري، عن أبي سلمة؛ لكثرة من روى هذه الطريق، واختار روايته لهذه الطريق عن شيخه عن أبي اليمان، عن شعيب؛ لأن شعيب من أثبت الناس في الزهري.

3- اختار البخاري رواية الحديث عن شيخه أبي اليمان؛ ليبين أن أحاديثه مقبولة ليس فيها مطعن، وإن كان أكثرها مأخوذاً بطريق الإجازة والمناولة، وليبين أن قول أبي اليمان فيها كلها (أخبرنا) لا يضر، إذ كان أبو اليمان يتأول جوازه.

4- لا يقتصر الغرض من القسم على توكيد الكلام، فقد يأتي لأغراض أخرى؛ كلفت الانتباه، وتقوية الكلام، وتعظيمه.

5- يدخل الاستغفار في مسمى التوبة عند الإطلاق، وأما عند الاقتران فالاستغفار يكون طلباً لمغفرة ما مضى من الذنب، والتوبة عزمٌ على أن لا يفعل الذنب مرة أخرى، والاستغفار رجوع

[1] انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ، ص15، ص18.

[2] انظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (277/3)،

إلى الله ليقيه شـرَّ ما مضـى من ذنبه، والتوبة رجوع إلى الله ليقيه شـرَّ ما يسـتقبل من شـر نفسه وسيئات أعماله.

6- يلاحظ من تعريفات أهل العلم أن التوبة عندهم هي التوبة النصـوح، فالتعريف واحد، اللهم إلا إن عرِّفت التوبة النصوح بأنها: التوبة التي تنصح صاحبها بعدم العودة مرة أخرى، أو التوبة التي ينصح بها المرء نفسه.

7- يقصـد بعصـمة الأنبياء: عصـمتهم من كبائر الذنوب، ومن تعمد الكذب في الأحكام، ومن رذائل الأخلاق والدناءات، ومن كل ما يوجب خسَّةً أو إسقاط مروءة عمداً، أما الصغائر التي لا تزري بمنصبهم؛ فظواهر النصوص تدل على أنهم لم يعصموا منها.

8- التوبة والاستغفار تدلان باللزوم على اليقين بأركان الإيمان، والتلازم بين هذه الأذكار وبين إيمان من ينطق بها.

9- كثرة اسـتغفاره صـلى الله عليه وسـلم وتوبته تشـير إلى حاجة العبد المتجددة لرحمة الله وعفوه، وفيها تحذير مبطن من الغفلة التي هي من أشد ما يفسد القلب.

التوصيات

- لقد أوتي النبي صـلى الله عليه وسـلم جوامع الكلم، وفي حديثه من الفوائد والمعاني ما لا يمكن الوقوف عليه إلا بإفراده ببحث خاص، يقوم بتحليله واسـتنباط ما فيه، لذلك فإن الباحث يشـجع على الإكثار من الدراسـات التي تتناول حديثاً واحداً بالبحث والتحليل، فالمعاني المكنونة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بحر لا شاطئ له.

فهرس المراجع

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ.
- أحمد، ابن محمد بن حنبل، الزهد، تحقيق محمد عبد السـلام شـاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ.
- أحمد، ابن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين وإشراف الدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.
- البخاري، محمد بن إسـماعيل، التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- بدر الدين، أ.د أميمة، بلاغة القسم في الحديث النبوي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الثالث والرابع، 2010م.
- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق محمد النمر وآخرين، دار طيبة، ط4، 1417هـ.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، الدعوات الكبير، تحقيق بدر عبد الله البدر، غراس للنشر، الكويت، ط1، 2009م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تحقيق د.عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط1، 1408هـ.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق د.عبد العلي حامد وإشراف مختار الندوي، مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الرياض، ط1، 1423هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي وإبراهيم عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، 1416هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1406هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تصحيح جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.
- ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل = تفسير ابن جزي، تحقيق د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط3، 1419هـ.
- ابن حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ.

- حبنكة الميداني، عبد الرحمن بن حسن، البلاغة العربية، دار القلم و الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط1، 1416هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سورية، ط1، 1406هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1426هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف محب الدين الخطيب وتعليق عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1382هـ.
- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق – بيروت، ط1، 1412هـ.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، تحقيق د.محمد الأحمدي، د. ماهر الفحل، دار السلام، ط2، 1424هـ.
- السامرائي، د.فاضل صالح، معاني النحو، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط2، 1441هـ.
- ابن السري، هناد بن السري بن مصعب، الزهد، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط1، 1406هـ.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن السني، أحمد بن محمد الدينوري، عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، تحقيق كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة – بيروت.

- سيبويه، عمر بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أحمد عناية، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح = معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق تحقيق عبد اللطيف الهميم وماهر الفحل، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ.
- الطبراني، المعجم الأوسط، رقم 2954، والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، المطتب الإسلامي ودار عمار، بيروت – عمان، ط1، 1405هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، الدعاء للطبراني، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض، دار الحرمين، القاهرة.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، مسند الشاميين، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ.
- الطحاوي، أحمد بن محمد، شرح معاني الآثار، تحقيق محمد النجار ومحمد جاد الحق ومراجعة د.يوسف المرعشلي، عالم الكتب، ط1، 1414هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- عبد الرحيم، د.عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1401هـ.
- عبد الرزاق، ابن همام بن نافع اليماني الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، تحقيق د.محمود عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.

- ابن عجيبة، أحمد بن محمد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تقديم ومراجعة محمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- العقيلي، محمد بن عمرو، الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.
- العيني، محمود بن أحمد الغيتابي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، ط2، 1426هـ.
- القاري، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ.
- القسطلاني، أحمد بن محمد القتيبي، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1393هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ابن المبارك، عبد الله، الزهد والرقائق، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ.

- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- ابن مفلح، محمد بن مفلح الراميني، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 1414هـ.
النجار ابن، محمد بن أحمد الفتوحي، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ.
- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق حسن شلبي وإشراف شعيب الأرنؤوط وتقديم عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ.
- النووي، يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1419هـ.
- هشام، ابن عمار السلمي المقرئ، حديث هشام بن عمار، تحقيق د.عبد الله بن وكيل، دار إشبيلية، السعودية، ط1، 1419هـ.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق د.حسين الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط1، 1413هـ.
- ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، تقديم د.إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.